

الزبير: ولادة نجدية في المهجر

أ. د. أحمد جارالله الجارالله

قسم التخطيط الحضري والإقليمي

جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل - الدمام - المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني:

pro_ajj@hotmail.com

مستخلص:

تمثل هذه الدراسة تنويجا لأكثر من ثلاثة عقود من البحث في التاريخ المتشابك لنجد والزبير. عندما بدأ تحقيق مركز في مراجع الهجرة في كتاب ابن بشر "عنوان المجد في تاريخ نجد"، ثم توسع تدريجيا إلى مشروع شامل يمزج التسلسل الزمني بالشكل الحضري والهوية الثقافية. وضعت أعمال المؤلف السابقة الأساس الفكري لهذا المؤلف. ففتحت كل دراسة نافذة على جانب معين من جوانب الزبير - جغرافيتها أو مساجدها أو تمثيلها في السجلات أو دورها الاجتماعي والاقتصادي. على مر السنين، أدرك المؤلف أنه لا يمكن فهم هذه العناصر بمعزل عن غيرها. فلم تكن الزبير مجرد مستوطنة تاريخية بالقرب من البصرة، بل كانت عاصمة المهجر في نجد، وهي وطن نجدية مزروع في المهجر، حيث تلتقي الذاكرة الرمزية والهجرة والمرونة. والمؤلف مدين بشدة للمصادر التي جعلت إعادة الإعمار هذه ممكنة: السجلات، والتقاليد الشفوية، والشعر، والبقايا المعمارية، والمنح الدراسية الأرشيفية. يسعى هذا الكتاب إلى جمعها معا في سرد موحد، يضع الزبير في قلب تأريخ الجزيرة العربية والخليج.

الكلمات المفتاحية

الزبير؛ الهجرة النجدية؛ نجد؛ الهوية الحضرية؛ المهجر؛ ابن بشر؛ التاريخ الحضري.

Al-Zubair: The birth and legacy of Najd in the Diaspora

Abstract

This study represents the culmination of over than three decades of research into the intertwined histories of Najd and al-Zubair. What began as a focused inquiry into migration references in Ibn Bishr's Unwan al-Majd gradually expanded into a comprehensive project that integrates chronology, genealogy, urban form, and cultural identity. My earlier works laid the intellectual groundwork for this volume. Each study opened a window onto a distinct aspect of al-Zubair - its geography, its mosques, its representation in chronicles, or its socioeconomic role. Over the years, I

came to recognize that these elements could not be understood in isolation. Al-Zubair was not simply a historical settlement near Basra; it was a diaspora capital of Najd, a transplanted homeland in exile where sacred memory, migration, and resilience converged. I am deeply indebted to the sources that made this reconstruction possible: chronicles, oral traditions, family genealogies, poetry, architectural remains, and archival scholarship. This book seeks to bring them together into a unified narrative, situating al-Zubair at the heart of the Gulf and Arabian historiography.

Keywords

Al-Zubair, Najd Migration, Najd, Urban Identity, Ibn Bishr, Urban History.

المقدمة

هذه الدراسة ثمرة رحلة بحث طويلة امتدت لأكثر من ثلاثة عقود في تاريخ الزبير وعلاقتها بالهجرة النجدية. جاءت هذه الصفحات لتجمع بين السرد التاريخي والتحليل الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، في محاولة لرسم صورة متكاملة عن حاضرة شكّلت ذاكرةً وملاً للأجيال النجدية عبر القرون. أقدمه إلى القارئ العربي والباحث المتخصص، طامحاً أن يكون إضافةً للمكتبة التاريخية، ومدخلاً لفهم أعمق لأثر الهجرات في صياغة الهوية وبناء المجتمعات.

تمثل هذه الدراسة ثمرة أكثر من ثلاثة عقود من البحث في التاريخ المتشابك بين نجد والزبير. فقد بدأت الرحلة بمحاولة محدودة لفحص إشارات الهجرة في "كتاب عنوان في تاريخ نجد" لابن بشر، غير أنها أخذت في الاتساع تدريجياً لتغدو مشروعاً متكاملًا يدمج بين السرد الزمني، والهوية الحضريّة، والذاكرة الثقافية.

لقد هيأت مؤلفات المؤلف السابقة الأرضية الفكرية لهذا العمل؛ إذ أضاء كل بحث نافذة على جانب من جوانب الزبير: جغرافيتها، ومساجدها، وذكرها في المصادر التاريخية، أو دورها الاجتماعي-الاقتصادي. ومع مرور الوقت، أدرك المؤلف أنّ هذه العناصر لا يمكن أن تُفهم في معزل عن بعضها، فالزبير لم تكن مجرد مستوطنة تاريخية قرب البصرة، بل كانت حاضرة جاذبة للمهاجر النجدي، ووطنًا منقولاً في المهجر حيث تلاقت الذاكرة المتجذرة والهجرة والقدرة على الصمود.

وتحاول الدراسة الإجابة على عدد من الأسئلة البحثية وهي: -

أسئلة البحث

1. كيف تشكلت الزبير تاريخياً بوصفها امتداداً عمرانياً وثقافياً لنجد في المهجر؟
2. ما العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي دفعت الهجرات النجدية إلى الزبير؟
3. كيف أسهمت المساجد والأحياء والروابط القرابية في إعادة إنتاج الهوية النجدية في الزبير؟

4. ما الدور الذي لعبته الزبير بوصفها ميناءً صحراوياً وعقدة تجارية إقليمية؟
 5. كيف عكست مدونة ابن بشر ومسارات الهجرة المتكررة مكانة الزبير في التاريخ النجدي؟
 6. كيف حافظ المجتمع الزبيري النجدي على استمراريته الثقافية والاجتماعية عبر القرون؟
- وللإجابة على هذه الأسئلة البحثية تحاول الدراسة تحقيق الأهداف التالية:-

أهداف البحث

1. تتبع الجذور التاريخية والعمرانية المبكرة لمدينة الزبير .
2. تحليل دوافع الهجرة النجدية إلى الزبير عبر الأبعاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .
3. تفسير آليات تشكل الهوية النجدية في المهجر من خلال البنية الحضرية والاجتماعية .
4. إبراز الدور الاقتصادي والإقليمي للزبير في شبكات التجارة الخليجية والعراقية .
5. تحليل صورة الزبير في مدونة ابن بشر بوصفها امتداداً للمجتمع النجدي .
6. تقديم تفسير نظري لمفهوم "الحاضرة النجدية في المهجر" باعتباره نموذجاً حضرياً وثقافياً .

ويودين المؤلف بعمق للمصادر التي مكنته من إعادة بناء هذه الصورة: من تواريخ قديمة، وروايات شفوية وشعر، وآثار عمرانية، ودراسات أرشيفية. ويسعى هذا الكتاب إلى جمع هذه الخيوط في سردى لنسيج موحد يضع الزبير النجدية في مركز تأريخ الجزيرة العربية والخليجى والعربى.

التمهيد

يبدأ تاريخ الزبير مع مقتل ودفن الصحابي الزبير بن العوام سنة 36 هجرية - 656م في وادي السباع، ثم ادعاء أهل البصرة بنقله إلى المريد سنة 386هجري. ومن هذا الأصل الرمزي نشأت البلدة عبر تكرار بناء القبر المنسوب للزبير بن العوام، وتشيد المساجد، وتكتل الأسر، وتعاقب موجات الهجرة النجدية. وبحلول العصر الحديث المبكر، أصبحت الزبير ملاذاً نجدياً في المهجر وميناءً صحراوياً للبصرة في ان واحد بهوية مزدوجة أثرت بعمق في ديناميات المنطقة

وتذهب هذه الدراية إلى أن ثلاثة عوامل بنوية تفسر استمرارية الهجرة النجدية إلى الزبير

- الأزمات الاقتصادية: من جفاف ومجاعات وغزوات جراد متكررة كانت تززع الاستقرار المعيشي في قلب الجزيرة.
- الاضطرابات السياسية: من ثارات قبلية، وصراعات وهابية-عثمانية، ونفي النخب مثل العديد من علماء الفقه الحنبلي من النجادي كمحمد بن فيروز وابن سحيم وغيرهما، وكالشاعر ابن لعبون.

• عوامل الجذب الاجتماعي والثقافي: كاشتراك المهاجرين في المذهب الحنبلي، وامتداد شبكات القرابة ووجود بيئة نجدية مألوفة في الخارج.

فقد أعيد إنتاج الطابع النجدي في مساجد الزبير وأحيائها ومقابرها ولهجتها وزواجها الداخلي وحرفها وأدبها. وفي الوقت ذاته أسهم دورها كميناء صحراوي للبصرة في جعل الزبير جزءًا من التجارة العابرة للأقاليم والسياسات الأسرية، من قوافل العقيلات إلى هجرات نجدية جماعية وعائلية وفردية.

منهجياً، تجمع الدراسة بين تحليل محتوى رواية ابن بشر، ورسم خرائط متقاطعة لأحداث الهجرة واستقراء للأدلة المعمارية الثقافية الاقتصادية والاجتماعية. ومن خلال هذا المنظور المتعدد التخصصات، تُبرز الزبير باعتبارها موقعاً للجوء ومختبراً للهوية النجدية في آن واحد

أما بناء الدراسة فجاءت في خمسة أجزاء:

- الجزء الأول: يبحث في الأصول الأولى والبدايات العمرانية.
- الجزء الثاني: يحلل عوامل الطرد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.
- الجزء الثالث: يتناول شهادة ابن بشر بوصفها تأكيداً لمسارات الهجرة.
- الجزء الرابع: يعيد بناء الهوية الحضرية والاجتماعية والثقافية للنجديين في المهجر.
- الجزء الخامس: يقدم خلاصة حول الهوية المزدوجة للزبير وتأثيرها في تاريخ الجزيرة العربية والخليجي والعربي.

أن تاريخ الزبير ليس حكاية عن الهامش، بل عن المركز؛ فهو تذكير بأن المدن الحدودية يمكن أن تصوغ الحياة الساسية، وتبني الاقتصادات، وتشكل الثقافات. ومن خلال تتبع هذا التاريخ، يساهم الكتاب في فهم أعمق لكيفية إسهام الهجرة والمهجر في إنتاج الاستمرارية والقدرة على التكيف وبناء عوالم ثقافية جديدة.

الدراسات السابقة

تُبنى هذه الدراسة على أربعة أعمال سابقة للمؤلف خصصها لدراسة الزبير، تناول كل منها الموضوع من زاوية مختلفة.

- (الجارلله، 2002) "مدينة الزبير وإقليمها: شخصية المكان وبصمة الإنسان" الرياض: مطابع ألوان.
- وهو عمل تأسيسي أعاد بناء جغرافية الزبير وبنيتها الاجتماعية، مبرزاً كيف عكست بيئة البلدة ومشهدا الثقافي البصمة النجدية عبر القرون.
- (الجارلله، والبشر، 2023) "الاستيطان النجدي في بلدة الزبير بن العوام: حقائق تاريخية مستخلصة من تتبع مسار الهجرة النجدية وبناء المساجد والأحياء السكنية"، بيروت: دار لبنان

رکز هذا العمل على المؤشرات المعمارية والمكانية للاستيطان، محللاً المساجد والأحياء السكنية والتجمعات القرابية باعتبارها دلائل على نقل النموذج النجدي.

• (الجارلله، 2025) "الزير في محتوى عنوان المجد في تاريخ نجد: منهج تحليل محتوى"، منصة البحث العلمي.

وهو تحليل منهجي لمحتوى ابن بشر، موضحاً تكرار ذكر الزير وسياقاته بوصفها ملجأً ومركزاً تجارياً وعقدة ثقافية.

• (الجارلله، 2025) "الهجرات النجدية إلى الزير: أبعاد تاريخية واقتصادية اجتماعية"، منصة البحث العلمي. تناول الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للهجرات النجدية، محللاً كيف أعادت دورات المجاعة والإجلاء السياسي والبنى القرابية اقتصاد الزير ومجتمعه.

ولقد تنوعت الدراسات الأكاديمية التي تناولت تاريخ الزير ومكانتها بين مقاربات وثائقية وسياسية ونقدية وأكاديمية شاملة. فجاءت دراسة القطراني 1988، كأطروحة ماجستير غير منشورة لتقدم معالجة عامة للزير في العصر العثماني، متناولةً أبعادها العمرانية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية معاً. وقدم أبو حسين 2009، عملاً يقوم على مناقشة بعض الوثائق عن الزير وعلاقتها الإقليمية، مركزاً على ترجمة سيرته الذاتية على وجه الخصوص، وبعض أعلام أسرته ومحفوظاتها المحلية. في المقابل، انصب اهتمام الحميدان 2019، على دراسة المشيخة النجدية في الزير منذ نشأتها وحتى سقوطها، مبرراً تطور البنية السياسية المحلية وعلاقتها بالتحويلات الإقليمية. أما الإبراهيم 2021، فقدّم قراءة نقدية منهجية لما كُتب عن المشيخة النجدية، كاشفاً عن جوانب التهميش والانتقائية في السرد التاريخي لدى بعض المؤرخين والباحثين. وأخيراً، يتضح من هذه الأعمال أن كل باحث قدّم زاوية خاصة: أبو حسين ركّز على البعد الوثائقي والاجتماعي، والحميدان على الجانب السياسي، والإبراهيم على النقد المنهجي، والقطراني على الوصف العام، مما شكّل معاً قاعدة معرفية لدراسة تاريخ الزير معاً، شكلت هذه الأعمال الأساس الضروري لهذا الكتاب. فقد قدّم كل منها منظوراً جزئياً، جغرافياً أو معمارياً أو نصياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً، بينما يسعى هذا الكتاب إلى دمجها في سردية شاملة تبرز الزير كحاضرة نجدية في المهجر وعقدة تجارية إقليمية.

مساهمة هذه الدراسة مقارنة بالأعمال السابقة

على الرغم من القيمة العلمية للأعمال السابقة وما أضافته من رؤى متفرقة عن الزير، فإن أيّاً منها لم يسع إلى تقديم سردية شاملة وموحدة لتاريخها ودورها في الهجرة النجدية. هنا تتجلى مساهمة هذا الكتاب في ثلاثة محاور رئيسية:

- الشمولية: إذ يتتبع تاريخ الزبير منذ جذورها الأولى في القرن السابع عشر الميلادي وحتى تحولات القرن العشرين، جامعًا بين الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في إطار واحد متكامل.
- تعدد المناهج: حيث يمزج بين تحليل محتوى النصوص التاريخية، ودراسة المعالم العمرانية والاعتماد على الروايات الشفوية، إضافةً إلى تحليل العوامل الاقتصادية والاجتماعية، بما يتيح إعادة تركيب صورة مركبة للزبير.
- الابتكار المفاهيمي: إذ يقدم طرحًا جديدًا ينظر إلى الزبير باعتبارها حاضرة المهجر النجدية أي فضاءً أعاد فيه النجديون تشكيل هويتهم خارج الحدود، وفي الوقت نفسه ميناءً صحراويًا للبصرة، يجمع بين الانغلاق الثقافي والانفتاح التجاري.

وبهذا تطمح هذه الدراسة إلى أن تكون ليس فقط مرجعًا تاريخيًا للهجرات النجدية إلى الزبير، بل أيضًا إسهامًا في النقاشات الأوسع حول المهجر والهوية والتكوين الاجتماعي في تاريخ الجزيرة العربية والخليج والعربي.

1. الأصول الأولى والبدايات العمرانية

1.1 مقتل ودفن الزبير بن العوام في وادي السباع والادعاء بنقلة ودفنه في الميربد

طالما شغلت أصول الزبير نقاشاتٍ في التقاليد المحلية والأدبيات العلمية. ومن الأخطاء الشائعة ربط تأسيس البلدة بسنة 979هـ/1571م، أي بالعام الذي شهد بناء القبة العثمانية فوق قبر الزبير بن العوام. إلا أن التمحيص الدقيق للأدلة المبكرة، يكشف عن تاريخ أعمق بكثير، متبعاً تطوره منذ دفن الزبير (36هـ/656م) مرورًا بتكرار البناء على القبر في القرون من الرابع إلى السابع الهجري، وبذلك يضع الزبير بوصفه البوابة الصحراوية الغربية للبصرة ونقطة ارتكاز مبكرة للهجرة النجدية.

1.2 دفن الزبير بن العوام 36هـ/656م

عقب موقعة الجمل قرب البصرة، قُتل الزبير بن العوام في وادي السباع. وتذكر المصادر الإسلامية المبكرة أن قبره كان في وادي السباع إلى الغرب من البصرة القديمة على أطراف الصحراء (ابن سعد، بلا تاريخ؛ الطبري، 1989، وسرعان ما غدا الموقع موضع تبجيل، رابطًا المنطقة بأحد أقرب صحابة النبي ﷺ. وقد شكّل هذا الارتباط الرمزي أساسًا للبناء على القبر المنسوب للزبير بن العوام.

1.3 أولى الإنشاءات: إعادة الدفن وبناء القبر 386هـ/996م

بحلول أواخر القرن الرابع الهجري، تورد المصادر البصرية خبر إخراج ما اعتُقد أنه الجسد المحفوظ للزبير وإعادة دفنه في الميربد، وهو سوق للقوافل غرب البصرة. وسرعان ما أُحيط المكان ببناءات تضم قرآنًا وحُجَابًا وطلاب علم، ويمثل هذا الإنشاء أقدم توثيق مؤسسي للوظيفة الرمزية للموقع، أي قبل القبة العثمانية بستة قرون.

1.4 إعادة بناء ثانية / 1242هـم 640م

تشير الأدلة إلى مرحلة ثانية من أنشطة البناء قبل منتصف القرن السابع الهجري، وإن كانت الوثائق شحيحة. وتكشف هذه المرحلة عن استمرارية البناء على القبر. ومن هنا لم يكن الميربد فضاءً صحراويًا خاليًا، بل فضاءً وسيطًا يربط بين البصرة القديمة والعمق النجدي.

1.5 وصف ابن بطوطة 726هـ/1326م

مرّ الرحالة المغربي ابن بطوطة بالمنطقة في أوائل القرن الثامن الهجري. ورغم وصفه لخراب البصرة القديمة، فقد أشار إلى وجود مسجد ومرافق نزول في الميربد. وتوحي ملاحظاته بأنّ المكان كان يؤدي وظيفة محطة للقوافل والحجاج، حتى لو لم يتطور بعد إلى بلدة متكاملة. وهكذا يظهر الزبير كنقطة شبه حضرية على الممر الصحراوي المؤدي إلى البصرة.

1.6 تراجع البصرة القديمة وصعود الممر الغربي

في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، انهارت البصرة القديمة بفعل الأزمات البيئية والسياسية، بينما نمت البصرة الجديدة قرب شط العرب. غير أنّ الممر الغربي، (الموضع الذي قامت عليه الزبير لاحقاً)، الرابط بين نجد والبصرة عبر الميربد ووادي الباطن، ظل نشطاً. وهذه الاستمرارية تفسر لماذا اختار المهاجرون النجديون لاحقاً، بدافع المجاعات والصراعات، الزبير كنقطة استيطان رئيسية على الحدود العراقية (الجارلله والبشر، 2023).

1.7 الخاتمة

تُفند الأدلة الفرضية القائلة بأن أصول الزبير تعود حصرياً إلى القبة العثمانية سنة 979هـ. بل إنّ سلسلة أنشطة البناء على القبر بين القرنين الرابع إلى السابع الهجريين تكشف عن تاريخ أعمق. لقد بدأت الزبير كمنظر رمزي يرتبط بالزبير بن العوّام، ثم تطورت لتصبح ممراً استراتيجياً بين البصرة ونجد. هذه الطبقات المبكرة هي التي هيأت الأرضية لموجات الاستيطان النجدي اللاحقة التي حوّلت المكان.

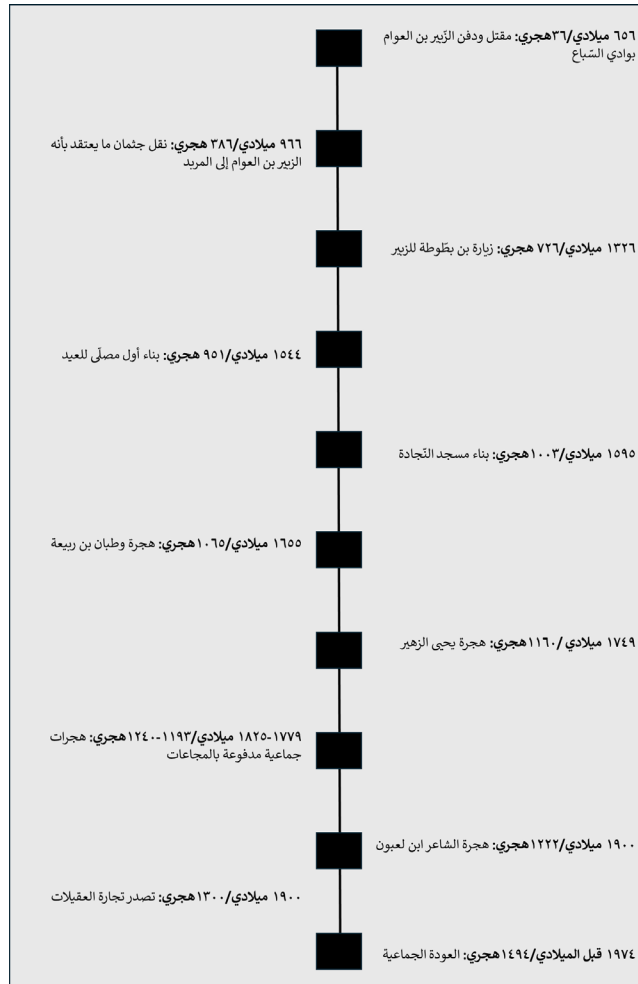
والجدول رقم (1) يستعرض تواريخ أهم الأحداث المبكرة في موضع الزبير إلى بلدة دائمة.

جدول رقم (1): الأحداث المبكرة في موضع الزبير

التاريخ (هـ/م)	الحدث/المكان	الوصف	الأهمية
656هـ/36م	الدفن في وادي السباع	دفن	رمز
		الزبير بن العوّام	موقع
			ذاكرة
			دائم

أول مجمع رمزي	إعادة دفن وبناء القبر	المريد كسوق للإبل	996هـ/386م
دليل على وجود فضاء حدودي	أشار إلى المسجد والنزل	ابن زيارة بطوطة	1326هـ/726م
علامة عمرانية مبكرة	ساحة الصلاة العامة	مصلى العيد	1544هـ/951م

ويبين الشكل التالي التسلسل الزمني منذ الأحداث المبكرة حتى العود



الشكل رقم (1): التسلسل الزمني منذ الأحداث المبكرة حتى العودة

1.8. المعالم الحضريّة الأولى: المساجد والأحياء

تمهيد

إذا كانت الفصل الجزئية السابقة قد بيّنت جذور الزبير، فإن هذه الجزئية تتناول كيف تحوّل ذلك المشهد الرمزي إلى نواة عمرانية مميزة. فبين القرنين العاشر والثاني عشر الهجريين (السادس عشر إلى الثامن عشر الميلاديين)، شهدت البلدة تشييد مساجد، ومصليات للأعياد، وأحياء سكنية قائمة على أساس القرابة. وقد غيرت هذه التطورات الزبير من موقع حدودي إلى مستوطنة نجدية منّظمة. وكان في قلب هذا التحوّل بناء المساجد التي رسّخت الهوية النجدية، إلى جانب تكثّل الأسر بما يعيد إنتاج الجغرافيا الاجتماعية النجدية في المهجر.

1.9 مسجد ابن لاحق: أول مرتكز ديني

يُعدّ مسجد ابن لاحق أقدم موقع صلوات موقّ في الزبير، وكان قائمًا على أرض مرتفعة قرب وادي الباطن. وعلى الرغم من صِغَر حجمه، فقد مثّل نواة للمستوطنين النجديين الأوائل. كما أنّ موقعه على أرض مرتفعة قلّل من خطر الفيضانات وأتاح مراقبة الممرات الصحراوية. ومن ثم، يُعد مسجد ابن لاحق أول دليل معماري على انتقال النجديين من الإقامة العابرة إلى الاستقرار شبه الدائم.

1.10 مُصلّى العيد 951هـ/1544م

برز بعد ذلك بُعد جماعي أوضح للحياة الدينية النجدية مع إنشاء مُصلّى العيد سنة 951هـ (1544م)، وفقًا لشواهد رواية محلية (الجارالله والبشر، 2021). وقد أقيم المصلّى خارج النواة السكنية الأولى ليستوعب جموع المصلين في العيدين. ومع اتساع العمران لاحقًا، ابتلعت البلدة في نسيجها الحضري، مما يعكس تحوّل الزبير من فضاء حدودي للصلاة إلى بلدة حضرية متماسكة. كان المصلّى علامة على استمرارية الشعائر، وكذلك مرجعًا زمنيًا مهمًا في تطور العمران.

1.11 مسجد النجادة 1003هـ/1594-1595م): أول جامع مركزي

يُمثل تأسيس مسجد النجادة سنة 1003هـ (1594-1595م)، نقطة تحوّل حاسمة في ترسيخ البلدة. فقد موله عدد من وجهاء نجد في الزبير - ناصر الحُميدان، ومحمد الغنّام الراشد، وعبد الله حوقل - ليكون أول جامع رسمي (جامع) في البلدة. وقد حمل اسمه "النجادة" كدلالة صريحة على الانتماء النجدي، فشكّل مؤسسة تُضفي شرعية دينية واجتماعية على الوجود النجدي في جنوب العراق وتعزز هويته الجماعية.

1.12 نشأة الأحياء الأولى

تكوّنت حول هذه المساجد الأحياء السكنية الأولى:

- الميصة "درواز" النواة الجنوبية التي جمعت الأسر النجدية الأولى المرتبطة بمسجد ابن لاحق.
- محلة الجديدة "الشمال": ظهرت في القرن الحادي عشر الهجري - السابع عشر الميلادي مع تدفق موجات جديدة من المهاجرين.
- الحزم والحصي: تأسسا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (السابع عشر والثامن عشر الميلاديين)، وجاء تصميمهما محكومًا بالاعتبارات الأمنية والتنظيم على أساس القرابة ويُظهر هذا النمط المبدأ النجدي في العمران: يبدأ بتشييد المساجد، ثم يتبعه التكتل الأسري، ثم التوسع التدريجي في المجال العمراني.

1.13 تلازم المسجد والحي

لا يمكن المبالغة في إبراز العلاقة بين بناء المساجد وتشكل الأحياء. فلم تكن المساجد مراكز للعبادة فحسب، بل كانت علامات تحدد نطاقات القرابة. فالأسر التي تولت بناء المساجد مثل الحميدان والراشد وغيرهما الكثير، رسخت في الوقت نفسه نطاقاتها السكنية. وهكذا أنتج التداخل بين عمارة المساجد والتكتل الأسري إعادة إنتاج للجغرافيا الاجتماعية النجدية خارج نجد، وضمان استمرار الطابع النجدي للزبير حتى مع توسعها.

1.14 خاتمة

بحلول العصر الحديث المبكر، كان تحوّل الزبير واضحًا. فقد أدى ظهور مسجد ابن لاحق، ومُصلى العيد، ومسجد النجادة، إلى جانب نشأة أحياء الميصة، ومحلة الجديدة، الحزم، والحصي، إلى تأسيس الزبير كحاضرة نجدية متكاملة خارج نجد. وقد وفّرت هذه المؤسسات الدينية والسكنية الإطار البنوي لموجات الهجرة اللاحقة، وغرست الهوية النجدية في نسيج الزبير العمراني ذاته.

جدول (2): تواريخ المساجد المبكرة في الزبير

التاريخ (هـ/م)	المسجد	المؤسس	الأهمية	الموقع	ملاحظة
1003 هـ	مسجد النجادة	الحميدان ، محمد الغنّام،	رمز موقع	القطا ع	هوية نجدية واضحة

4-	المركز ي	ذاكرة دائم	عبد الله حوقل		1595 م
القرن العاش ر الهجر ي	الجنو ب مركز عمراني	أول مجمع رمزي	النجديّون الأوائل	مسجد ابن لاحق	
951 هـ/ 1544 م	الأطرا ف موضع صلاة جماعية	دليل على وجود استيطا ن مبكر	المجتمع المحلي	مصلى العيد	

2. دوافع الهجرة والانتقال

2.1 عوامل الدفع الاقتصادية

كانت الأزمات الاقتصادية، المتجذرة في هشاشة البيئة الطبيعية لنجد، أكثر العوامل تكرارًا وإلحاحًا في دفع النجديين للهجرة إلى الزبير. وعلى خلاف الاضطرابات السياسية أو النزاعات القبلية التي تقع بصورة متقطعة، كانت المجاعات والجفاف تتكرران بانتظام قاسي، فثَقُوضان أسس المعيشة وتُرغمان العائلات على البحث عن ملاذات أكثر أمانًا. وبحكم موقعها على الممر الصحراوي نحو البصرة، كانت الزبير المنفذ الطبيعي لهذه الموجات من الهجرة.

2.2 دورات المجاعات وشح الموارد

تنفق السجلات التاريخية والشعر والروايات الشفهية على تواتر المجاعات التي أصابت نجد بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر الميلادي. ومن السنوات البارزة: 1637، 1654، 1665، 1702، 1722، 1747، 1767، 1782، 1805، و1874م. وفي كلِّ منها، نزحت آلاف الأسر من مناطق سدير والقصيم والعارض وحائل وما

جاورها. وقد غدت الزبير بحكم قربها الجغرافي ورمزيتها الموروثة الخيار الأمثل لضمان الاستمرارية مع موجات الهجرة السابقة.

2.3 هشاشة البيئة في نجد

كان اقتصاد نجد شديد الارتهان لتقلبات الأمطار. فاعتماده على الآبار الضحلة ومجري الأودية الموسمية، في غياب أنظمة ري واسعة، جعل المنطقة عرضة للجفاف الممتد الذي يؤدي إلى نضوب الآبار واندثار بساتين النخيل. وزادت أسراب الجراد الطين بلة، إذ كانت تقضي على المحاصيل. هذه الهشاشة البيئية جعلت التعافي صعبًا، ودفعت المجتمعات مرارًا إلى أزمات قاسية. وعلى النقيض من ذلك، وقّرت الزبير - لقربها من موارد البصرة النهرية وارتباطها بشبكات التجارة - بيئة أكثر استقرارًا وفرصًا أوفر للمهاجرين من نجد.

2.4 شهادات الشعر والروايات الشفهية

حُفرت معاناة المجاعة بعمق في الذاكرة الثقافية. فقد نظم الشاعر حميدان الشويعر، (1177هـ/1763م)، أبياتًا يُصوّر فيها آلام الجوع والفقر والهجرة القسرية. وتبرز في شهادته صورة مزدوجة: من جهة، يأس المجتمعات النجدية؛ ومن جهة أخرى، وعي متجذر بأن الزبير تمثل ملاذًا. وهكذا تثرى النصوص الشعرية والشفهية السجل التاريخي بإضافة البُعد العاطفي والثقافي للهجرة.

2.5 الزبير كملجأ اقتصادي

قدمت الزبير للمهاجرين النجديين ثلاث مزايا رئيسية:

- القرب الجغرافي: عبر طريق وادي الباطن حيث كان الوصول إليها ممكنًا حتى لمن لا يملكون موارد كبيرة.
 - الاندماج في الأسواق: بوصفها ميناءً صحراويًا للبصرة، أتاحت الزبير النفاذ المباشر إلى المواد الغذائية والشبكات التجارية.
 - شبكات القرابة: إذ سبقتهم أسر نجدية بتأسيس مساجد وأحياء، فخلقت بيئة اجتماعية مألوفة للقادمين الجدد.
- وبذلك لم تكن الزبير مجرد محطة لتخفيف المعاناة، بل صارت عقدةً للفرص الاقتصادية والتجارة والاستيطان طويل الأمد.

2.6 خاتمة

لقد كانت المجاعات المتكررة في نجد العامل البنيوي الأبرز وراء الهجرة إلى الزبير. وعلى عكس الاضطرابات السياسية المؤقتة، أسفرت هذه الأزمات الاقتصادية عن تدفق مستمر من المستوطنين على مدى قرون. وقد استوعبت الزبير اللاجئين الفقراء كما استقطبت الأسر الطامحة في التجارة، لتتحول إلى مركز لتجارة الإبل



المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات

Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal (EIMJ)

العدد السادس والتسعون - شهر (6) 2026

Issue 96, (6) 2026

ISSN: 2617-958X

وصادرات التمور والتجارة الصحراوية. ومن هنا يمكن القول إن هشاشة بيئة نجد تفسر في آنٍ واحد استمرار النمو الديموغرافي للزير وعمق طابعها النجدي.

جدول رقم (3): المحلات السكنية المبكرة

الأسر	الأهمية	المسجد	الحي	الفترة
النجديّو ن الأوائل	رمز موقع ذاكرة دائم والنواة الأولى	ابن لاحق	الميضة / درواز	القرن 16م
هجرات جماعية	أول مجمع رمزي، توسع نحو الشمال	مسجدي الباطن والابراهيم	محلة الجديدة / الشمال	القرن 17م
هجرة عوائل حرمة	دليل على وجود استيطان مبكر، موقع دفاعي	مسجد الدروازة ومسجد الحصي	الحصي والحزم	القرن 17- 18م
هجرة ال الراشد واتباهم من الاسر	اول حي خارج السور علامة نمو حضري	جامع الرشيدية	الرشيد ية	1740م
هجرة آل زهير	علامة عمرانية	مسجد الزّهير	الزهيرية	1747م



المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات

Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal (EIMJ)

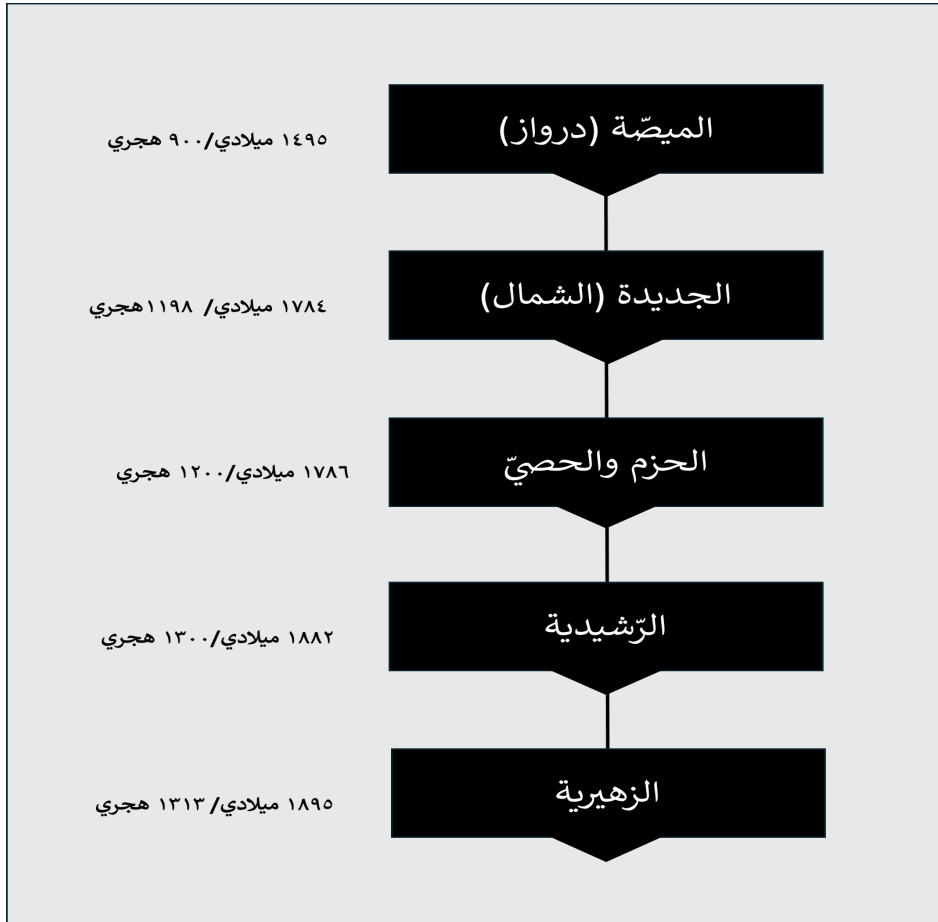
العدد السادس والتسعون - شهر (6) 2026

Issue 96, (6) 2026

ISSN: 2617-958X

واتباعه	مبكرة،	ومسجد		
م من	حيّ موجة	الخشيري		
الاسر	جديدة			
	من			
	المهاجري			
	ن			

والشكل التالي يوضح تواريخ تأسيس المحلات السكنية في الزبير



الشكل رقم (3): تاريخ إنشاء المناطق السكنية

2.7 عوامل الدفع السياسية (الصراع والإجلاء والملاذ الحدودي)

بينما دفعت المجاعات والجفاف النجديين مرارًا إلى الهجرة نحو الزبير، كانت الاضطرابات السياسية عاملاً لا يقل أثرًا في تشكيل هذه الهجرات. فقد تسببت الثارات القبلية، والانقسامات المذهبية، والصراعات بين الحركة الوهابية والإمبراطورية العثمانية والدول السعودية الناشئة، في اقتلاع الأسر والعلماء والنخب من مواطنهم. وقد جعل موقع الزبير - بعيدًا عن السيطرة العثمانية المباشرة وقريبًا في الوقت نفسه من نجد - منها ملاذًا طبيعيًا للنازحين بسبب السياسة كما بسبب الفقر.

2.8 النزاعات القبلية والثارات

كانت البنية الاجتماعية في نجد خلال العصر الحديث المبكر قائمة على تحالفات قبلية هشة. وكان من المعتاد أن تتفاقم دوائر الثار إلى صراعات مسلحة، فترغم بعض العشائر على ترك أراضيها. في مثل هذه الظروف، كانت الزبير تمثل أرضًا محايدة يمكن للعائلات المهاجرة أن تستقر فيها دون خوف من الانتقام المباشر. وتحتفظ التقاليد الشفهية بذكرى أسر من سدير والقصيم والعارض وحائل أعادت بناء مكانتها في الزبير من خلال تكوين أحياء جديدة وشبكات نفوذ بديلة.

2.9 الصراعات الوهابية - المناهضة للوهابية

أدى صعود الدعوة الوهابية في القرن الثامن عشر الميلادي (منتصف القرن الثاني عشر الهجري) إلى استقطاب المجتمع النجدي. فالأسر التي انحازت للحركة واجهت عداءً في المناطق الخاضعة للعثمانيين، بينما تعرّض خصوم الوهابية للملاحقة في الأراضي السعودية. وقد وجد الفريقان في الزبير ملاذًا مشتركًا؛ إذ جمعهم الانتماء المذهبي الحنبلي الذي منحهم شعورًا بالألفة، فيما أتاح الوضع السياسي المحايد للزبير مساحة لاستقبال المهجرين من كلا الجانبين. وبذلك غدت البلدة ملتقى المهاجرين نتيجة للخلافات الفقهية وان كانوا يشتركون بالمذهب الحنبلي.

2.10 الحروب العثمانية - السعودية ونفي النخب

أنتجت الحروب بين العثمانيين والدولة السعودية (أواخر القرن الثامن عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر) موجات بارزة من الهجرة السياسية. ومن أبرز الأمثلة:

1. وطبان بن ربيعة (1065 / 1655) هاجر إلى الزبير في ظل اضطرابات وصراع على السلطة في الدرعية.
2. سليمان آل زهير (1160هـ/1747م) لجأ إلى الزبير بعد مقتل أبيه في صراع داخلي بين الدولة السعودية ودهام بن دواس حاكم الرياض.
3. ابن لعبون (1245هـ/1829م) خرج من سدير إلى الزبير أثناء الحروب الوهابية العثمانية

تدل هذه النماذج على أنّ الزبير لم تستقطب الأسر النازحة فحسب، بل جذبت أيضًا النخب الثقافية. فقد رسّخت هجرة الكثير من العلماء الحنابلة صورة الزبير كمركز علمي للفقهاء الحنابلة في جنوب العراق. كما رسّخت هجرة الشاعر ابن لعبون مكانة الزبير في الذاكرة الأدبية النجدية، إذ صوّر شعره البلدة كرمز للفقد والضمود والبقاء.

2.11 الزبير كملاذ حدودي

يفسّر الموقع السياسي للزبير دورها كمهجّر. فمع أنها قريبة من البصرة، إلا أنها كانت على هامش الرقابة العثمانية، ما منحها قدرًا من الاستقلال الذاتي. هذا الوضع الحدودي - القريب بما يكفي للاستفادة من حماية البصرة، والبعيد بما يكفي عن ثقل سلطتها - جعل الزبير ملاذًا مثاليًا. فقد تمكّن الذين أجلوا سياسيًا من الاستقرار وممارسة التجارة وإعادة بناء حياتهم السياسية بعيدًا عن الصراع المباشر. ومع مرور الوقت، تزايد أعداد هؤلاء الوجهاء من مكانة البلدة، ورسّخ دورها بوصفها حصنًا حدوديًا للهوية النجدية.

2.12 خاتمة

إن عوامل الطرد السياسية - من النزاعات القبلية إلى الحروب العثمانية - السعودية - أسهمت في أن يكون سكان الزبير النجديون أكثر عددًا وتنوعًا اجتماعيًا. فقد شملت الهجرات تجارًا، وعلماء، وشعراء، وزعماء، أضاف حضورهم للزبير ثقلاً سياسيًا وثقافيًا إلى جانب دورها الاقتصادي. ويكشف هذا البعد عن ازدواجية الهجرة النجدية: فهي مدفوعة بانتهيار بيئي من ناحية، وباضطراب سياسي وأيديولوجي من ناحية أخرى

جدول رقم (4): موجات الهجرة النجدية الكبرى (القرن 17-19م)

التاريخ	الأصل	الأسر	عامل الدفع	الأثر
1655م	الدرعية	وطبان بن ربيعة	صراعات عائلية	تولي أحفاده حكم الزبير
1747م	حريملاء	آل زهير	صراع داخلي	تكوين حي الزهيرية وحكم الزبير

توسّع	مجاعة	آل عون،	حرمة،	1779-
الحزم		آل سميط	سدير	1825م
والحصي				
أثر ثقافي	توجه	ابن لعبون	سدير	1807م
وأدي	ثقافي			

2013 عوامل الجذب الاجتماعية-الثقافية

لم تكن المجاعات والجفاف والاضطرابات السياسية وحدها كافية لتفسير سبب اختيار النجديين الزبير دون غيرها من الوجهات. فهذا الفصل يتناول عوامل الجذب - الدينية، الاجتماعية، الثقافية، والاقتصادية - التي حوّلت الزبير من مجرد ملاذ إلى مركز نابض بالحياة للمهاجر النجدي.

2.14 الهوية الدينية المشتركة: الحنبلية

من أبرز عناصر الجذب وجود هوية دينية مشتركة تتمثل في الانتماء إلى المذهب الحنبلي. فحينما وصل النجديون إلى الزبير وجدوا مجتمعاً سبق أن تشكّل على يد علماء ومؤسسات حنبلية مثل مدرسة الدويحس الفقهية، كما أصبحت مساجدها مثل مسجد النجادة ومسجد الباطن ومسجد الرواف مراكز للتعليم الفقهي الحنبلي وفق الممارسة النجدية. وقد وقرّ هذا الاستمرار في العقيدة والعبادة استقراراً للمهاجرين وخفّف من حدّة الاغتراب الثقافي. ومع مرور الوقت، ذاع صيت الزبير بوصفها معقلاً للحنبلية في جنوب العراق.

2.15 حفظ القرابة والأنساب

ظلت الحياة الاجتماعية النجدية تقوم على روابط القرابة والزواج الداخلي. وفي الزبير، استمرت هذه التقاليد بصلابة لافتة. إذ تؤكد الروايات الشفهية وسجلات الأسر رفض المستوطنين النجديين التزاوج مع غيرهم حتى بعد مضي قرون في العراق وهو ما إشارة الية الممثلة الإنجليزية في البصرة أيضاً. كما تركزت الأحياء السكنية حول المجموعات العائلية - مثل آل ثاقب، وآل زهير، وآل عون، وآل سميط وغيرها الكثير - بما يحاكي النموذج الاجتماعي النجدي. هذا الاستمرار في النَّسب والقرابة كان بمثابة مغناطيس لجذب القادمين الجدد الذين وجدوا عند وصولهم شبكات اجتماعية مألوفة.

2.16 الفرص الاقتصادية والاندماج في السوق

قدّمت الزبير كذلك حوافز اقتصادية واضحة. فموقعها على الممر الصحراوي إلى البصرة جعلها مركزاً لتجارة العقيلات المتخصصة في الإبل والتمور والصوف. وتمكّن المهاجرون من الانضمام إلى بيوتات تجارية قائمة،

حتى شكلت البيوتات التجارية الزيرية غالبية التجار في البصرة القريبة، أو ممارسة الحرف المرتبطة بقوافل التجارة مثل صناعة السروج والمنسوجات. وهكذا انتقل النجديون من اقتصاد هش قائم على الزراعة المطرية في نجد إلى المشاركة في اقتصاد سوقي عابر للأقاليم. وقد عزز هذا البعد الاقتصادي دور الزير كمحطة للترقي الاجتماعي.

2.17 الألفة الثقافية والرمزية المجتمعية

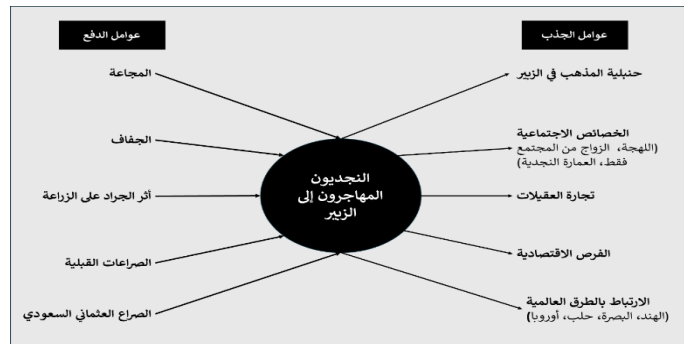
مَثَلت الزير بالنسبة للنجديين أكثر من مجرد مكان آمن؛ لقد كانت امتدادًا ثقافيًا للوطن. فقد حملت مساجدها أسماء نجدية، وتماهت لهجتها مع لهجة نجد، وجاء تنظيم أحيائها على نمط التكتل الأسري النجدي. حتى المقابر جرى ترتيبها على أسس فقهية حنبلية، في إشارة إلى الاستقرار والديمومة حتى في الموت. لقد شكَّلت البلدة ما يمكن وصفه بفضاء منقول حافظ على الهوية النجدية بدلًا من أن يذيبها.

2.18 خاتمة

كانت جاذبية الزير متعددة الأبعاد: استمرارية دينية، حفظ للقرابة والأنساب، فرص اقتصادية، وألفة ثقافية. هذه العوامل لم تستقطب المهاجرين في أوقات الأزمات فحسب، بل ضمنت لهم الاستقرار عبر القرون. ومن ثم، لم تكن الزير مجرد بلد مهجر، بل حاضرة نجدية مُصمَّمة اجتماعيًا بعناية لإعادة إنتاج الحياة النجدية في المهجر.

جدول رقم (5): تواريخ هجرة أهم العائلات النجدية المهاجرة من نجد للزبير

الدور	الحي	الأصل	الأسرة
حكم المشيخة في الزبير	قرب مسجد النجادة	الدرعية	آل ثاقب وهم أحفاد وطبان
حكم المشيخة في الزبير	الشمال والرشيدية	حريملاء	آل إبراهيم
حكم المشيخة في الزبير	الزهيرية	حريملاء	آل زهير
حكم المشيخة في الزبير	الشمال	حرمه	آل عون



الشكل رقم (2): عوامل الدفع والجذب لهجرة النجديين إلى

الزبير

3. الزبير في مدونة ابن بشر

3.1 تمهيد

لم تكن المجاعات والجفاف والاضطرابات السياسية وحدها كافية لتفسير سبب اختيار النجديين الزبير دون غيرها من الوجوه. فهذا الفصل يتناول عوامل الجذب - الدينية والاجتماعية والثقافية، والاقتصادية، التي حوّلت الزبير من مجرد ملاذ إلى مركز نابض بالحياة للمهاجر النجدي. تُعدُّ مدونة عثمان بن بشر (1290هـ/1873م)، من أهم المصادر السردية لتاريخ نجد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين). فقد قدّم في كتابه "عنوان المجد في تاريخ نجد" سجلاً شبه معاصر للحروب والتحالفات والاضطرابات الاجتماعية. وعلى الرغم من تركيزه في الأساس على قلب الجزيرة، فإن ابن بشر أشار مرارًا إلى الزبير، مؤكّدًا اندماجها في سياق التاريخ النجدي.

3.2 تكرار الذكر وسياقاته

يذكر ابن بشر الزبير في سياقات متعددة:

- كملجأً للنازحين من نجد خلال سنوات المجاعة والصراعات القبلية.
 - كمحطة انطلاق لنشاط القوافل، خصوصًا العقيلات.
 - كساحة سياسية تفاوضت فيها الأسر النجدية مع العثمانيين أو طلبت الحماية.
 - كحاضنة ثقافية ارتبطت بالمهاجرين من الشعراء والعلماء.
- وعلى الرغم من تركيزه على نجد، تكشف هذه الإشارات المتكررة (72 تكرار لاسم الزبير) عن مكانة الزبير كامتداد نجدي خارج الحدود المطابقة مع أحداث الهجرة.
- يتضح من إشارات ابن بشر بانها تتطابق مع موجات هجرة رئيسة.
- 1065هـ/1655م: إشارة إلى هجرة وطبان بن ربيعة، بما يتوافق مع موجة خروج من نجد.
 - 1160هـ/1747م: نزوح أسر من حريملاء أثر الصراع بين الدرعية ودهام بن دواس حاكم الرياض، ومنها آل زهير، واستقرارها في الزبير.
 - 1193 هـ / 1779م: نزوح العديد من الاسر من حرمة إلى الزبير بعد تهديمها من قبل الدولة السعودية الاولى.
 - 1222هـ/1807م: خروج الشاعر ابن لعبون من سدير والتوجه إلى الزبير، مما يُبرز الزبير كملجأً للنخب الثقافية.
 - سنوات المجاعة في القرن التاسع عشر: وتكرار ذكر "النجديون الذين قصدوا الزبير" في سياق الأزمات البيئية.
- وهذا التوازي يؤكّد أن مدونة ابن بشر مصدر رئيس لتأريخ الهجرات النجدية.

3.3 لغة المنفى عند ابن بشر

استخدام ابن بشر مصطلحات مثل " خرجوا " و" انتقلوا"، و"أجلوا" وهي ألفاظ تعكس الإكراه على النزوح من جهة، والاختيار المتعمد للاستيطان من جهة أخرى. ومن دلالة هذه اللغة أنّ الزبير لم تُقدّم بوصفها أرضاً غريبة، بل كامتداد مشروع لنجد وموطن مهجر أكثر منها محطة عابرة.

3.4 الموثوقية والحدود

وعلى الرغم من قيمتها الفائقة، تظل رواية ابن بشر

- تركّز على النخب والأسر البارزة.
- انتقائية: لا تسرد تفاصيل المهاجرين العاديين.
- سياقية: لكن حين تُقارن رواياته بالروايات الشفهية والأنساب والسجلات الاقتصادية، تتضح قيمتها كمحاور زمنية موثوقة.
- يرد ذكر الزبير غالباً في ارتباطها بالسياسة أو الثقافة النجدية.

3.5 خاتمة: تحليل ابن بشر لتاريخ الوقائع

تضع مدوّنة ابن بشر الزبير في قلب التاريخ النجدي. فقد أكدت إشارات دوره المزدوج: ملجأ في أوقات الأزمات ومنصة لاستمرار الثقافة. وبمطابقة رواياته مع جداول الهجرة، تتبدّى الزبير لا كبلدة هامشية، بل كامتداد حاسم للمجتمع النجدي في القرنين السابع عشر إلى التاسع عشر الميلادي.

يوفر تاريخ ابن بشر واحدة من أوضح النوافذ على المصائر المتشابكة لنجد والزبير خلال القرنين السابع عشر والتاسع عشر. على الرغم من أن تركيزه ظل على وسط شبه الجزيرة العربية، إلا أن إشارات: المتكررة إلى الزبير تسلط الضوء على دور الحاضرة على النحو التالي

- ملجأ للعائلات التي اقتلعتها المجاعة أو الصراع أو المنفى السياسي.
- مركز تجاري حيث ربطت قوافل نجد بالبصرة وما وراءها.
- ملاذ ثقافي وجد فيه الشعراء والعلماء والنخب - مثل ابن لعبون - الاستمرارية في المهجر.
- عند ربطه بموجات الهجرة المعروفة، يؤكد نص ابن بشر الدوافع الهيكلية للهجرة التي تم تحليلها بالفعل: الهشاشة البيئية، والاضطرابات السياسية، وجاذبية الألفة الثقافية. والأهم من ذلك، أن لغته لا تتعامل مع الزبير ككيان أجنبي، بل كامتداد لنجد، مما يعزز فكرة الزبير باعتباره "نجدا في المهجر".
- وهكذا، يؤسس الجزء الثالث الأساس النصي للتحليل اللاحق: إذا رأى ابن بشر أن الزبير لا ينفصل عن قصة نجد، فيجب فحص هوية المدينة وثقافتها ليس كظواهر معزولة، بل كجزء لا يتجزأ من التاريخ النجدي.

جدول رقم (6): ت ابن بشر x موجات الهجرة

التاريخ	الحدث الهجري	الإشارة
1655م	هجرة وطبان	ذكر تدفقات المهاجرين
1747م	قدوم آل زهير	صراع حريملاء
1807م	استقرار النخبة في الزبير	هجرة العديد من علماء الفقه الحنابلة كمحمد بن فيروز وابن سحيم وغيرهم الكثير

4. الهوية النجدية في الزبير

4.1 الهوية الحضرية والاجتماعية

إذا كانت الأجزاء السابقة (الثاني والثالث) قد فسرت دوافع الهجرة النجدية إلى الزبير وكيف سجّلها المؤرخون، فإن هذا الفصل يتناول ما بناه المهاجرون وما حافظوا عليه بعد استقرارهم. فلم تُصغ هوية الزبير عبر العمارة أو التجارة وحدها، بل من خلال إعادة إنتاج أنماط الحياة النجدية. يوضح هذا الفصل العلاقة بين الشكل الحضري والتنظيم الاجتماعي، مبيّناً كيف شكّلت المساجد والأحياء وبنى القرابة هوية حضرية نجدية مميزة في المهجر.

4.2 الحي القائم على القرابة

تمركز المهاجرون النجديون في أحياء متكوّنة على أساس النسب العائلي، محاكين النموذج النجدي في التنظيم المكاني:

- الحزم والحصّي: استوطنتها أسر من العارض والوشم وحائل وسدير، مجسّدةً تماسك النسب وضرورات الأمن
 - الرشيدية: ارتبطت باستقرار الراشد وأتباعهم من الاسر
 - الزّهيرية: ارتبطت باستقرار آل زهير بعد 1160هـ/1747م واتباعهم من الاسر
 - الميصة (درواز) ومحلة الجديدة (الشمال): شكّلتا النوى الأولى التي امتصّتها لاحقاً الشبكات القرابية.
- لقد جعل تسمية الأحياء بأسماء الأسر من الخريطة الحضرية انعكاساً مباشراً للبنية الاجتماعية النجدية وتظهر تسمية الأحياء على اسم العائلات اندماج تضاريس المناطق الحضرية مع الحياة الاجتماعية، مما يحول خريطة المدينة إلى مرآة للنظام الاجتماعي النجدي.

4.3 المساجد بوصفها مرتكزات اجتماعية

أدت المساجد دور الرموز القرابية والإقليمية، وقد عكس توزيع المساجد بدوره تكتل الأسر، مما وُحِد بين العبادة والمجتمع:

- مسجد النجادة (1003هـ/1594م) رَسَخ مكانة أسر الحُميدان، والراشد، والحوقل
- مسجد ابن لاحق ربط المجتمع بمرحلة الاستيطان الأولى
- المساجد اللاحقة التي أسستها أسر بارزة مثل (الابراهيم والذكير والفرج (الصالح) والنقيب والدليجان والخشرم (الحيف) والعبداكريم (مسجد الخمسة... الخ) جسدت السلطة الاجتماعية ورَسَخَت المطالب المكانية.

4.4 المقابر وديمومة المهجر

تكشف ممارسات الدفن عن نية البقاء. فقد أنشأ النجديون مقابر على أساس المذهب الحنبلي، في تكرار للتقاليد النجدية. وصارت المقابر رموزًا للاستمرارية، إذ ربطت الأجيال بعضها ببعض وأكدت الجذور في المهجر.

4.5 الحياة العامة: الأسواق والدواوين

وَحَدت الأسواق كسوق الحزم وفروعه بعد ذلك كشوارع الابراهيم والسويلم والمراغة، وقيصرية المشري وقيصرية الخشيم وسوق الجّت النجديين بالتجارة الإقليمية، بينما أعادت الدواوين مجالس العائلات (أكثر من مئة ديوانية)، إنتاج تقاليد الضيافة والمشورة النجدية. وفي هذه الفضاءات شبه العامة، أُلقي الشعر، وُحِلت الخلافات، وعُقدت التحالفات. وقد ربطت هذه العناصر بين التجمعات الأسرية ضمن ثقافة مدنية نَجدية متماسكة.

4.6 الحدود الاجتماعية والتميز الثقافي

رغم قرون من الإقامة في العراق، حافظ النجديون على حدود واضحة الزواج الداخلي: رفض التزاوج مع غير النجديين. حفظ اللهجة: استمرار استخدام النطق النجدي. الزي والعادات: الالتزام باللباس النجدي، وأنماط الطعام، والشعائر. وقد صنعت هذه الممارسات صورة واضحة للزير كنواة نجدية، في نظر الداخل والخارج على السواء.

4.7 خاتمة

استندت الهوية الاجتماعية للزبير إلى منطق نجدي أصيل: أحياء قائمة على القرابة، مساجد مرساة للنفوذ، مقابر سلفيه، ودواوين عامرة. وقد شكّلت هذه العناصر حاضرة نجدية منقولة في المهجر، ضمنت بقاء الطابع النجدي للزبير وعدم ذوبانها في محيطها العراقي.

جدول رقم (7): الصفات الثقافية النجدية المحفوظة

الدلالة	في الزبير	في نجد	السمة
علامة هوية	استمرّ محافظة عليها	لهجة نجدية	اللهجة
استمرارية أصولية	ازدهار الفقه الحنبلي	حنبلي	المذهب
بصمة اقتصادية	تجارة العقيلات، تجارة مع الهند وحلب ودول الخليج العربي	الإبل والخيل، الصوف والجلود، زراعة	الحرف

4.8 الاستمرارية الثقافية

منحت الأحياء والمساجد الزبير شكلها النجدي، لكن هويتها الأعمق كانت تكمن في ممارساتها الثقافية. فالمهاجرون لم يكتفوا بالبقاء في المهجر، بل أعادوا إنتاج أنماط الحياة النجدية جيلاً بعد جيل. يتناول هذا الفصل كيف صنعت اللغة، والدين، واللباس، والحرف، والأدب جسورًا من الاستمرارية بين نجد والزبير، فجعلت البلدة امتدادًا حيًا لوسط الجزيرة العربية.

4.9 اللغة واللهجة

أول ما يميّز الهوية هو اللهجة النجدية، بسماتها الصوتية مثل قلب القاف جيماً وقلب الجيم ياء وقد حافظ سكان الزبير على هذه اللهجة قرونًا طويلة، حتى في محيط عراقي له لهجات مغايرة. وقد لاحظ الرحالة مرارًا أن الزبير "تحدث بلسان نجدية"، مما جعل اللغة حاجزًا للتمايز الثقافي.

4.10 الحياة الدينية والحنبلية

نقل النجديون مذهبهم الحنبلي بكامل مؤسساته. وصارت الزبير مركزًا إقليميًا للفقه الحنبلي، وبرزت فيه مدرسة الدويحس الفقهية، وعدد من العلماء والفقهاء الذين أصبحوا أستاذة يقصهم الطلاب من الجزيرة العربية ودول الخليج العربي. كما كانت المساجد بمثابة مدارس تحفظ الإيمان للأجيال.

4.11 القرابة والزواج والانغلاق الاجتماعي

مارست الأسر الزواج الداخلي بصرامة، محافظةً على نقاء الأنساب ومقلّصة فرص الاندماج في المجتمع المحيط. وقد رسّخت الأحياء هذا الانغلاق الاجتماعي، فجعلت القرابة حجر الزاوية في الهوية.

4.12 اللباس والثقافة المادية

حافظ النجديون على لباسهم المميز - الثوب والغترة والعقال - كعلامة ظاهرة على هويتهم. كما جسّدت بيوتهم طراز العمارة النجدية: منازل بفناء داخلي مفتوح للداخل وللسماء ومغلق من الخارج، وبُنيت باللّين أو بالطين بطريقة العروق. وهكذا نُسجت الهوية المادية في تفاصيل الحياة اليومية.

4.13 الحرف والتجارة والعقيلات

امتھنت بعض الأسر التجارة والحرف المرتبطة بقوافل العقيلات، مثل تجارة الإبل، وتجارة الخيل مع الهند وصناعة السروج، والنسيج، وتميزت بالصناعات الجلدية وعلى الخصوص النعال الزبيرية التي وصلت شهرتها إلى الجزيرة العربية والخليج العربي. وصارت الأنشطة الاقتصادية وسيلة للعيش ووسمًا ثقافيًا يربط الزبير بشبكات التجارة الممتدة من البصرة إلى الشام والحجاز.

4.14 الشعر والأدب والحياة الفكرية

كان الشعراء الذين هاجروا من نجد مثل ابن لعبون من أبرز من رسّخوا الزبير في الجغرافيا العاطفية النجدية. كما شكّل نسخ المخطوطات - مثل نسخ أحد أعمال ابن سينا الطبية في الزبير سنة 1611م - علامة على دورها العلمي. ومن خلال الشعر والكتابة، حُفظت المكانة الاجتماعية والهوية الثقافية.

4.15 المقابر واستمرارية الموت

تُظمت المقابر على أسس المذهب الحنبلي كما الحال في نجد، لتغدو معالم ثقافية تؤكد هوية المجتمع حتى بعد الموت. وهكذا جسّد الدفن ذاته استمراريةً وذاكرةً متوارثة.

4.16 خاتمة

تُظهر الحياة الثقافية في الزبير أن المهجر لم يكن مرادفًا للذوبان. فقد أعاد النجديون بناء عالمهم الثقافي من خلال اللغة، والدين، والقرباة، واللباس، والحرف، والشعر، والمقابر. وبذلك تحوّلت الزبير إلى حاضرة نجدية منقولة، حيث وفّرت الاستمرارية الثقافية الاستقرار في مواجهة الاضطراب.

جدول رقم (8): الجدول الزمني الرئيسي

التاريخ الميلادي	الحدث	الفئة	الدلالة
656م	الدفن	ديني	أصل رمزي
996م	بناء القبر	عمراني	معلم ديني
1544م	مصلى العيد	ديني	عبادة جماعية
1594م	مسجد النجادة	عمراني	أول ركيزة عمرانية
1655م	هجرة وطبان	هجرة	دافع سياسي
1747م	قدوم آل زهير	هجرة	هوية حيّ
القرن 19م	صعود العقيلات	تجارة	محور اقتصادي
القرن 20م	عودة المهاجرين	إرث	ذاكرة واندماج

5 الامتداد والذاكرة

5.1 الهوية المزدوجة

تكمن فرادة الزبير في هويتها المزدوجة. فهي بالنسبة للنجديين وطن المهجر، حافظ على القرابة والدين والثقافة. وفي الوقت نفسه، كانت بالنسبة للبصرة والخليج ميناءً صحراويًا استراتيجيًا، يمدّ القوافل والجمال والخيول، ويشكّل عقدة لشبكات التجار. يتناول هذا الفصل كيف تعايشت هاتان الهويتان، وتداخلتا أحيانًا، وتعارضتا أحيانًا أخرى، في تشكيل دور الزبير في التاريخ الإقليمي.

5.2 نجد في المهجر: حيّز ثقافي

كما أوضحت الفصول السابقة، أعادت الزبير إنتاج أنماط الحياة النجدية في كل المجالات

- الحنبلية شكّلت مؤسساتها الدينية
 - الزواج الداخلي والأحياء القرابية حفظت نقاء الأنساب
 - اللهجة واللباس رسمت حدودًا مرئية
 - المقابر والشعر كرسا استمرارية الذاكرة
- هذا الوجه من الزبير كان يركّز على التماسك الداخلي، ليبقي المجتمع نجديًا في جوهره رغم بُعدِه عن نجد

5.3 ميناء البصرة الصحراوي: عقدة إقليمية

- جعلها تجار العقيلات محورًا في تجارة القوافل، بتزويد الأسواق بالإبل والتمور والصوف إلى العراق والشام والحجاز
- أصبحت نقطة انطلاق لسلاسل خليجية بارزة، مثل فرع من آل صباح آل ثاقب وال براهيم في الكويت وآل مهيدب في الإمارات، وكل سكن الزبير في مسار هجرته.
- وفّرت لها مكانتها الحدودية - المستقلة نسبيًا لكن محمية - فرصة للازدهار في ظل المثلث السياسي العثماني-السعودي-البريطاني في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر
- هذا الوجه من الزبير ركّز على الاندماج الخارجي، رابطًا المهاجرين النجديين بالتجارة والسياسة الإقليمية في الوقت نفسه، أدّت الزبير دور البوابة إلى البصرة وما بعدها.

5.4 التوتر والتوازن بين الهويتين

لم يكن التعايش بين الهويتين دائمًا سلسًا. فقد قيّد الانغلاق الأسري والتمايز الثقافي إمكانيات الاندماج في المجتمع المحيط. ومع ذلك، كان نجاح التجار النجديين مرهونًا بالارتباطات الخارجية. وهكذا اعتمد بقاء الزبير على تحقيق توازن، للحفاظ على الخصوصية النجدية في الداخل، والانفتاح على الأسواق والسياسة في الخارج.

5.5 خاتمة

لم تكن الزبير مجرد بلدة لاجئين نجديين ولا ضاحية بصريّة. بل كانت في آنٍ واحد حاضرة للمهاجرين من نجد وعقدة تجارية إقليمية ودولية. وقد جسّدت مفارقة مجتمع ينظر إلى الداخل ليصون هويته، وينفتح إلى الخارج ليزدهر اقتصاديًا. وهذه الازدواجية تفسر تأثيرها العميق في أنماط الهجرة الخليجية، وشبكات التجارة، والتواريخ الأسرية.

5.6 الإرث والهجرات العائدة

يكشف تاريخ الزبير - الممتد من دفن الزبير بن العوّام سنة 656م حتى هجرات القرن العشرين - عن بلدة وقفت عند تقاطع الذاكرة والهجرة والحركة. ولا يمكن اختزال قصتها في هوية واحدة؛ فهي في الوقت نفسه بلدة نجدية في المهجر، ومستوطنة حدودية، ومركز للمهاجرين من نجد. يقدّم هذا الفصل خلاصة للنتائج ويعكس على الإرث المستمر للزبير في التاريخ النجدي والخليجي.

5.7 النقل النجدي والقدرة على الصمود الثقافي

أعاد المستوطنون النجديون إنتاج وطنهم بدرجة لافتة من الدقة. فبنوا المساجد بأسماء تنتمي إلى أصولهم، وتجمعوا في أحياء قائمة على القرابة، وحافظوا على لهجتهم، وفرضوا الزواج الداخلي، وأقاموا مقابر حنبلية. كما أبقت الممارسات الثقافية - من الشعر إلى اللباس - هوية الأجيال المولودة في المنفى نجدية الطابع. وهكذا غدت الزبير حاضرة نجدية صرفه، حيث نُقل جوهر نجد وحُفظ عبر القرون.

5.8 الأدوار الاقتصادية والسياسية

في الوقت نفسه، ضمّن موقع الزبير بوصفها ميناءً صحراويًا للبصرة اندماجها في الشبكات الإقليمية والعالمية. فقد ربط تجار العقيلات البلدة بالأسواق العثمانية والشامية والحجازية، كما ربط الزبيريون النجادي والتجارة العالمية باستخدام طريق القوافل العظيم بين الزبير وحلب. كما سمح لها استقلالها النسبي بأن تكون ملاذًا خلال الصراعات العثمانية-السعودية، مما عزّز دورها كحصن حدودي.

5.9 الهجرات العائدة وتبدل الأحوال

مع القرن العشرين، غيرت التحولات الاقتصادية والسياسية ملامح الزبير. فصعود الدولة السعودية واقتصادات النفط في السعودية والكويت والبحرين دفع كثيرًا من الأسر النجدية إلى العودة أو الانتقال. وتعرضت بعض الأحياء، التي كانت في الماضي نابضة كمستوطنات نجدية، إلى التراجع. ومع ذلك، حتى في العودة، ظل إرث الزبير حاضرًا: إذ حملت الأسر معها ذكرى البلدة التي صانت هويتها في المنفى قرونًا.

5.10 الإرث في التاريخ الخليجي والعربي

تتجلى أهمية الزبير ليس في تاريخها المحلي فحسب، بل في أثرها الإقليمي تُظهر كيف يمكن للهجرة أن تؤدي إلى نقل ثقافي بدلًا من الاندماج تؤكد دور البلدات الحدودية في تشكيل مسارات الأسر والتجارة والسياسة تُثري الموروث الخليجي عبر وضع الهجرات النجدية في إطار أوسع من التنقل والقدرة على التكيف بهذا المعنى، لم تكن الزبير على الهامش، بل في قلب صناعة الهوية النجدية والخليجية

5.11 تأملات أوسع

المهجر بوصفه نقلًا ثقافيًا - تُظهر تجربة الزبير أنّ الهجرة لا تعني بالضرورة الذوبان. فالمهجر يمكن أن يُعيد إنتاج عالم ثقافي كامل - من اللغة والدين إلى القراة والعمارة - في موضع جديد. البلدات الحدودية كمحركات للتاريخ - تكشف تجربة الزبير أنّ الفضاءات الحدودية، التي يُظن أنها هامشية، هي في الحقيقة مختبرات للتاريخ. فمن أحيائها ومساجدها نشأت سلالات، وروابط تجارية، وهويات ثقافية غيرت وجه الخليج.

ذاكرة الزبير في الهوية الخليجية - حتى بعد تراجعها السكاني، بقيت الزبير رمزًا في التأريخ الخليجي وفي ذاكرة الأسر. فهي تمثل الصمود في الأزمات، والتضامن في المنفى، والقدرة على إعادة بناء الوطن في الغربة.

2.12 الخاتمة

بكل ما تقدم تؤكد الزبير أنّ التاريخ لا يُكتب فقط في العواصم والإمبراطوريات، بل أيضًا في بلدات المهجر والملاذات. فمقارها، وشعرها، وعمارتها تروي قصة تحملها، بينما تخبرنا قوافلها وسلالاتها عن الاتصال والانتشار. وبمجموعها تكشف عن بلدة كانت في آنٍ واحد نجدية الجوهري وخليجية الانتماء. إن تتبّع هذا التاريخ دعوة إلى إعادة التفكير في معنى المهجر: لا بوصفه خسارة، بل باعتباره شرطًا يمكن أن ينتج الاستمرارية، والإبداع، والإرث. لقد كانت الزبير، وستبقى، شاهدًا على قدرة المجتمعات المهاجرة على الحفاظ على جوهرها وهي تصوغ عوالم ثقافية جديدة.



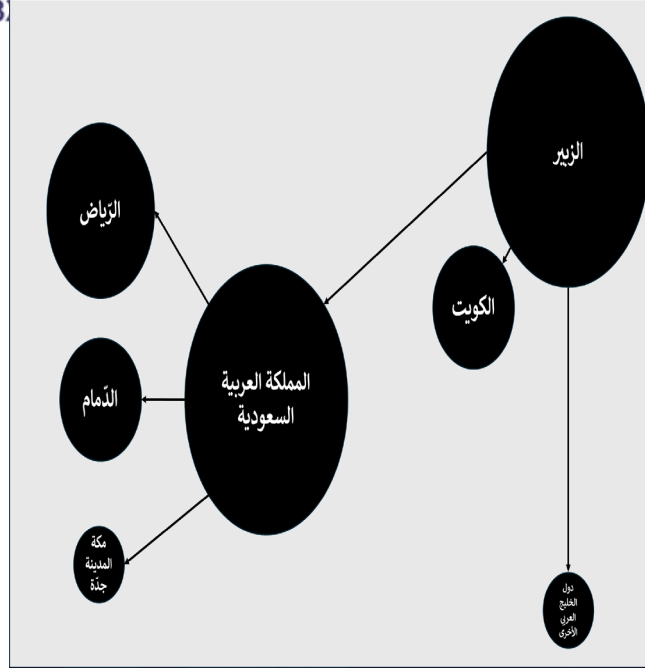
ISSN: 2617-958X

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات

Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal (EIMJ)

العدد السادس والتسعون - شهر (6) 2026

Issue 96, (6) 2026



الشكل رقم (4): وجهات وأحجام الهجرات العائدة

المراجع العربية

- أبا حسين، على (2009م) "لمحة من تاريخ مدينة الزبير"، مؤسسة فخراوي للدراسات والنشر - مملكة البحرين.
- إبراهيم، أ. (2021): تاريخ المشيخة النجدية في الزبير: بين تهميش المؤرخين وانتقائية المؤلفين - قراءة نقدية. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 18(2)، 43-68.
- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني "نجديون وراء الحدود: العقيلات ودورهم في علاقة نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر (1750م-1950م)"، دار الساق، بيروت.
- ابن الجوزي، أبي فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (1992م) (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) الجزء الرابع عشر، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الغملاس، عبد الله بن إبراهيم "مخطوطة عن تاريخ الزبير والبصرة"، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف (2006م) الطبعة الأولى، دار دجلة، عمان.
- ابن بشر، عثمان (1982م) "عنوان المجد في تاريخ نجد"، (الرياض
- ابن بطوطة، شرف الدين أبو عبد الله النجدي (1968م) "رحلة ابن بطوطة (تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، بيروت.

- أبن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (1933م) "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية بالقاهرة.
- آل باش أعيان، الشيخ عبد لقادر العباسي (1988م) "موسوعة البصرة" الجزء الأول - خطط البصرة، بغداد.
- الجارلله " (2025) الزبير في محتوى عنوان المجد في تاريخ نجد: مقارنة تحليل محتوى" منصة البحث العلمي. (RESEARCH-GATE).
- الجارلله، (2025) "الهجرات النجدية إلى الزبير: أبعاد تاريخية واقتصادية اجتماعية". منصة البحث العلمي. (RESEARCH-GATE)
- الجارلله، أحمد جارلله، والبشر، وليد محمد. (2023). الاستيطان النجدي في بلدة الزبير بن العوام: حقائق تاريخية مستخلصة من تتبع مسار الهجرة النجدية وبناء المساجد والأحياء السكنية. بيروت: دار لبنان.
- الجارلله، أحمد بن جارلله (2003م) "مدينة الزبير إقليمها: شخصية المكان وبصمة الإنسان" مطبعة ألوان، الرياض.
- الحميدان، عبد اللطيف الناصر (2019م) "تاريخ مشيخة الزبير النجدية من النشوء إلى السقوط" جداول للنشر والتوزيع، بيروت.
- الرقراق، محمد بن سعد (1994م) "لمحات من تاريخ الزبير" مطبعة العبيكان، الرياض.
- الصانع، عبد الرزاق والعلي، عبد العزيز (1986م) "إمارة الزبير بين هجرتين 979-1400هـ"، ج2، الكويت.
- القطراني، حسين علي عبيد (1988م)، "الزبير في العهد العثماني 979 - 1333 هـ، 1571 - 1914م" رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة.
- محمد بن حمد العسافي مشاركة إبراهيم بن راشد الصقير (2001 م) "مساجد الزبير" تحقيق وتقديم: قاسم السامرائي.

المراجع الإنجليزية

- Capper, James (1928) "Observation on the passage to India, through and across the Great Desert, with Occasional Remarks on the Countries, and also sketches of the different Routes "(London).
- Ibn Bishr, O. bin A. (1982). Unwan al-Majd fi Tarikh Najd (Vols. 1-2). Beirut: Dar al-Madani.

- Keppel, George (1927) " Personal Narrative of a Journey from India to England, By Basra, Baghdad The Ruins of Babylon, Curdistan, The Count of Persia, the western share of the Caspian Sea, the year 1824", 2 vols. Second addition (London).
- Parsons, Abraham (1809) "Travels in Asia and Africa, including a Journey from Scanderoon to Aleppo, and over the desert to Baghdad and bussora; a voyage from bussora to Bombay, and along the western Coast of India, A voyage from Bombay to Macha and Sonz in the Red Sea: and a journey from Suez to Cairo and Rosetta in Egypt "(London).
- Samuel, evers (1784) "A Journal kept on A journey from Basara to Baghdad, over the little Desert to Aleppo, Cypurus, Rhodes, zanet, Corfu and Otranto, in Italy in the year 1779" (Horsham).
- Shuman, M. (2004). Issues in discourse analysis in Arab media studies: The Egyptian studies as a model. Egypt: Scientific Journal of the Faculty of Arts, Minya University.
- Solecki, Ralph, S. (1955) "Archeological Reconnaissance of Jebel Sinam and Old Basra in Southern Iraq" Sumer, Vol. XI, no.2.
- Teizeire. Padro (1902) "Travels of Pederro Teixeira "translation by: W.E. Sinclair, vol. Ix (London).
- Thevenot, (1680) "The Travels of Monsieur de Thevenot into the Levant" (London).
- Tuaimah, R. (2008). Content analysis in the humanities: Its concept, foundations, and uses. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.
- Wittmen, William (1803), " Travels in Turkey, Asia – Minor, Syria, and Across the Desert into Egypt During the years 1799 – 1800 and 1801" (London).



ISSN: 2617-958X

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات

Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal (EIMJ)

العدد السادس والتسعون - شهر (6) 2026

Issue 96, (6) 2026